المتبادل بينها ، وكيف يستحيل احدهـا من شكل الى آخر · وهو عندما يقـارن بين الرواية والملحمة ، فانه يقيم مقارنات جامدة بينهما ، فلا يرى الاشكال التي تربط الاولى بالثانية، ولا يتساءل عن حالة توسطية بينهما ، او عن علاقات هذين النوعين الادبيين بأشكـــال ادبية اخرى مثل القصة القصيرة مثلا ·

اذا رجعنا الى الطرف الثاني من ثنائية لوكاش اي الانسانوية نجده في قلب النظرية ، يطرد المعيار الفني ويقيم مكانه احكاما اخلاقية · فنهوض الرواية وصعودها ايجابيا يقترن بموقفها من الانسان ، وارتفاعها كعمل فني هو ارتفاعها كرسالة اخلاقية تدين البـــؤس وتدافع عن مثل الانسان الكوني · ويبرز هذا المعيار الانسانوي في النقاط التالية :

أ ـ عندما يطري لوكاش سرفانتس ورابليه فانه لا يطري البنيان الفني لاعمالهما بـــل تصديهما الشجاع لمخلفات البؤس الماضية وبوادر الشر الوليد ·

ب ـ يعتبر لوكاش ان مسار الرواية في ايجابيته ليس الا موقفها الايجابي من قضيـة الانسان ، بل يجنح الى القول ان تاريخ الرواية العظيم في المجتمع البرجوازي هو تاريخ نضالها المستمر عن القيم الانسانية الشاملة · لكن المجتمع البرجوازي ـ كما نعلم ـ حطم نظاما انتاجيا تعسفيا ليقيم مكانه نظاما اكثر عسفا واستغلالا ، وهذا يعني حسب منطـق لوكاش ان تاريخ الرواية العظيم كان ومنذ البداية تاريخ الدفاع عن الانسان المستغـل · وهذا امر غير صحيح ، اذ أن الكثير من الروائيين العظام قامـــوا بتمجيد المجتمـع البرجوازي وقيمه سواء كان ذلك في رواية روبنسون كروزو ام في رواية فاوست لغوته وفي أعمال كثيرة اخرى · وهنا لا يمكن الا أن نقول ان لوكاش لا ينسى روائية العمل الروائي فقط بل ينسى قانونا هاما من قوانين الديالكتيك الماركسي هو : **قانون التناقض** ·

ج ـ عندما يعالج لوكاش الاشكال الادبية الحديثة لـــدى بروست وكافكا وجويس لا يعالجها انطلاقامن حزمة التناقضات التي انتجتها بل انطلاقا من موقفها من الانسان ومن البطل الذي تتخذه محورا ، الامر الذي يقوده الى انكار كل التجديد الفني الذي تتضمنه ونعتها بالانحطاط ، اي انه يستعمل كلمة الانحطاط المشربة بالايديولوجيا الاخلاقية ليحاكم عملا فنيا لا تفهـم دلالتـه التاريخيـة وقيمتـه الفنيـة الا بعـد دراسة كـل التناقضـــات الايديولوجية والاجتماعية واللغوية التي تعبر عن ذاتها فيه ·

عندما نقول ان دراسة لوكاش موسومة بثنائية اقتصادوية / انسانوية ، ينبغي علينـا ان نظهر الاثر النظري الناتج عن هذه الثنائية في ميدان دراسة الرواية · واذا نظرنـا الى العنصرين النظريين للثنائية نبصر بسهولة انهما الاقتصـاد والانسان ، لكن لوكاش لا يضيع ولا يمكن ان يضيـع بسهولة في متاهـة هذه الثنائيـة · هل يعني هذا ان استنـاد لوكاش الى الثنائية السابقة لم يؤثر في نظريته الفنية · الجواب لا يمكن ان يكـون الا نفيا · فعلى الرغم من جهد لوكاش لتقديم تحليل شامل للرواية في لحظاتها الاقتصاديـة والايديولوجية والفنية ، فان نظريته اضاعت شيئا ما او كادت ان تضيعه : **الاستقـــلال الذاتي النسبي للعمل الروائي** (العمل الفني) · يمكن ان نتلمس هذا « الضياع » في اكثر من مكان :

ـ تعاطي لوكاش مع الرواية كشكل ادبي نقي أو كنوع ادبي ولد دفعة واحدة ، فلم ينظر الى الاشكال الانتقالية او الاشكال الهجينة التي تربط الرواية بالملحمة ، كما لم يتعـرض لاشكال روائية وادبية اخرى : القصص الشعبية ، الحكايات الدينية والفلسفية · لم يتكلـم